



منذ أن بدأت تباشير الانفاضة السورية في الحرية وسط دمشق، والحكومة السورية تسعى جاهدة إلى إسباغ صفتين قاتلين لها:

- الأولى: تكرار إعلان النظام عن اندساس ما يصفه بعصابات مسلحة وسط المتظاهرين، وأنهم يقومون بإطلاق النار على المتظاهرين السلميين، وهو ما يؤدي إلى قتل المتظاهرين ومعهم بعض قوات الأمن.

- والصيغة الثانية: التي حرص إعلام النظام على الإيحاء بها هي أن المتظاهرين السلميين طائفيون، ومن ثم فسيف ديموقليس المسلط على الشعب السوري سيظل يلاحقه، ويهدده في حريته ووطنيته، بمعنى أن كل من يطالب بالحرية فهو طائفي ويريد الحرب الأهلية، وهي الفزاعة الطائفية التي يفرز إليها النظام كلما دهمه خطب الانفاضة الشعبية والاحتجاجات الجماهيرية، وهدد عرشه وكرسيه .

لم يحدث أحد من المتظاهرين عن الطائفية، بل على العكس هنف الجميع الهاتف الذي سمعناه على شبكة التواصل الاجتماعي بعد أن منع النظام وسائل الإعلام العالمية من نقل حقيقة ما يجري هناك، فكان الهاتف: "سنية - علوية بدننا وحدة وطنية"، وكذلك هتفوا: "مسيحية وإسلام". وقام إمام سنى فصلى في مسجد علوى، والعكس صحيح في مدينة بانياس، وخرج الجميع في مظاهرات واحدة ببنياس واللاذقية تطالب بالوحدة والحرية، لكن النظام أقض مضجعه هذا المنظر المهيب، إذ يدرك أن فزعاته التي فرز إليها منذ الوالد المؤسس حافظ أسد هي الطائفية؛ وهي التي طرحتها في أحداث الثمانينيات، والأمر نفسه يحدث بطرحها من قبل المستشارية السياسية والإعلامية للرئيسة بثينة شعبان..

كل أركان النظام السوري هذه الأيام تحذر من الطائفية، بينما الكل يعلم أنهم هم من طرحتها، وهم من روج لها لحاجة في نفس النظام السوري، فهي الضمان الوحيد لبقاءه في السلطة، والجميع يعلم أن الشبيحة بقيادة نمير أسد - ابن شقيق حافظ أسد - طائفية أتباعها، وهي التي تعيث فساداً في سوريا إن كان على مستوى الفساد المالي والرشا، أو على مستوى تشغيل موانئ وهمية، أو على مستوى قتل الشعب السوري هذه الأيام الذي ذنبه أنه انتفض ضد النظام، مستنسخين أساليب المافيا الإيطالية، إذ تبين أن هذه الشبيحة قد تأسست ودُعمت من قبل حافظ أسد منذ عام (1975 م)، والكل يعلم أيضاً هوية الحرس

الجمهوري السوري الذي يقوده ماهر الأسد شقيق رئيس النظام السوري. وهنا حتى لا يتهمنا أحد بالطائفية – على طريقة بثينة شعبان وأركان النظام السوري. فإننا في هذا المقال نصف حالة ونحرر واقعة، ولا يعني هذا أن كل أفراد الطائفة العلوية مع النظام أو تؤيده فيما يذهب إليه، فالبرفيسور/ عارف دليلة، وتهامة معروف، ورغد الحسن، وآخرين مشهود لهم بموافقتهم الوطنية وبمعارضتهم للاستبداد في سوريا منذ فترة طويلة، وقضى بعضهم سنوات في السجن ثمناً لأفكارهم وأرائهم، ولا يزال بعضهم أيضاً في السجن، وإن كان يفترض بأبناء الطائفة الآخرين وشيوخها أن يعلنون انشقاقهم تماماً كما حصل مع شيوخ لهم أيام الانتداب الفرنسي فانضموا إلى الوطنيين، وأحبطوا مخطط الدوليات الطائفية السورية الذي كان يعد له المستعمر الفرنسي.

أما الفرازة الثانية التي فزع إليها النظام من أجل إنقاذ نفسه لعلها تكون خشبة الخلاص من تسونامي الاحتجاجات السورية، فهي تحمل إطلاق النار على المتظاهرين وقوات الأمن لمن وصفهم بالعصابات المسلحة ليتبين الآن من خلال شهود العيان وناشطي حقوق الإنسان بالإضافة إلى شهادة بعض عناصر الأمن أن قتل زملائهم كان على أيدي الشبيحة أنفسهم لعصيائهم أوامر إطلاق النار على المتظاهرين، ومحاولة بعضهم الانضمام إلى المحتجين، والمثير للضحك أن تنفرد كاميرا التلفزيون السوري بالتقاط مشاهد عناصر الشبيحة وهو يطلقون النار على المتظاهرين والمحتجين. في درعا، وحين سالت المذيعة المسئولة السوري رد عليها بشكل سمج وكأنهم يضحكون على عقول البشر بالقول إن الكاميرا كانت ثابتة، فهل عجزوا أن يُثبتوا بعض عناصر الأمن للقبض على هذه العصابة أو قتل أفرادها، في حين يعلم الجميع كيف أن إطلاق النار في الأعراس السورية شبه مستحيل، ومن يطلق النار ثلاثة عشر جهاز مخابرات بانتظاره، لكن المثير للضحك أكثر هو مشهد كاميرا التلفزيون السوري وهي تلاحق سيارة الشبيحة في حمص وعناصر الشبيحة يطلقون النار على شكل فيلم هوليودي والكاميرا تواصل التنقل مع أبطال الفيلم وكأننا في مسلسل باب الحارة، دون أن تتمكن قوات الأمن من الوصول إلى هذه العصابات المسلحة .

إذن الهدف واضح كما أن أسلوب النظام السوري وتكلتيه أوضح، وهو أنه يسعى إلى تطيف المظاهرات من أجل تخويف الشعب السوري من التقسيم وال الحرب الأهلية، في حين أن وجوده هو الحرب الأهلية بعينها، وعسكرة الانتفاضة يهدف إلى جر المتظاهرين إلى الأرض التي يتقنها ويستطيع أن يتدرع بها، كون المطالب ستكون غير محققة، وثانياً هو الأقوى عسكرياً ولديه مبرر الدولة الباطجي في القضاء على عصابات مسلحة كما يدعى.

لذا – وتأسيساً على ذلك كله – يكون من أهم التحديات أمام المتظاهرين في سوريا هو جعل الانتفاضة سلمية مهما كانت التكاليف؛ كون تكاليف الدخول في مواجهة مسلحة مع هذا النظام ستكون مكلفة ومرهقة ومدمرة للإنسان والوطن والسوريين. أما التحدي الآخر فهو استيعاب كل الأطياف السورية؛ من دينية، ومنهبية، وعرقية في هذه الانتفاضة السورية الوطنية التي تهتف بهتاف واحد حرية وسلامية، وباعتقادي فإنها تمكنت من تفويت الفرصة على النظام الذي سعى إلى إيقاعها في أحابيله وأشراته، فلا استطاع النظام العزف على الوتر الديني والطائفي، ولا كذلك العرقي، حيث الرشوة التي قدمها للإخوة الأكراد بتجنيسهم وهو الذي ظل يرفض ذلك منذ الستينيات، فقد ظلت الاحتجاجات تتواصل في الجزيرة السورية تهتف بالحرية وتطالب بالمطالبات نفسها التي تدعو إليها الانتفاضة السورية.

ربما نجح النظام في جذب عدد كبير من الممثلين والممثلات الذين سكنوا قلوب السوريين لكنهم فضلوا قلوب السلطة على قلوب الشعب، وهو الأمر الذي يدق ناقوس الخطر للدراما السورية ومستقبلها، ومستقبل هؤلاء الفنانين الذين آثروا الفردية على الوحدة الوطنية وعلى الحرية، بالإضافة إلى بعض عناصر النخب في الجامعات السورية الذين تحولوا إلى ناطقين رسميين باسم النظام، ولم يعودوا أمناء على مهنتهم في الوصول إلى المعرفة وتنوير الشعب فضلاً عن تنوير طلبته، وتلك آفة ستطارد هاتين الشرحتين من المجتمع السوري بعد رحيل النظام.

المصادر: